ديوان عمرو بن قميئة [١]

نظر انتقادي للاب انطون صالحاني اليسوعي

أهدى الينا المستشرق العالم السر شارل جيمس ليال ديوان الشاعر الجاهلي عمرو ابن قميئة (٢

فلدى تصفحنا الكتاب ابتهجت نواظرنا باتقان طبعه بحروف جليّة غير مرصوصة وبداد اسود متناسب في كل الصفحات على ورق ابيض صقيل نقيّ مع سعة بين السطور وفي الهامش . فيرتق النظر صفوف السطور بانبساط ويتتبعها بانشراح ويفهم معانيها بسهولة . فقلنا : هكذا فليكن طبع المؤلفات . والفضل في ذلك عائد الى مطبعة كليّة كمبريدج العامرة فنهدي اليها عاطر الثناء ويا حبذا لو كانت تستخدم حروفاً ذات رسم اجمل كالحرف الاسطنبولي لكانت نالت الكمال . الّا ان في قراءة حرف مطبعة كمبريدج راحة للعيون اوفر

وما اعظم ما كان سرورنا عندما استقرينا تلك القصائد الشائقة . فاخذنا العجب من نشاط وجدّ المستشرق الهمام العلّامة ليال . فانّهُ لا يألو جهدًا في نشر الكتب ودواوين الشعراء قديمًا وحديثاً رغماً عن طعنه في السنّ . فقد طبع قديماً سنة ١٨٩٤ في كلكوتا المعلّقات مع شرحها التبريزي . ونشر سنة ١٩١٣ ديواني عبيد بن الأبرص وعامر بن الطفيل وصدّرهما بتوطئتين في اللغة الانكليزية ونقل الى هذه اللغة القصائد الواردة فيهما وعلّق عليها الحواشي المفيدة وألحقها بعدّة فهارس للأعلام والمفردات والقوافي . وقد سبق لنا تقريظ هذين الديوانين في المشرق (١٧ : ٢٤١ — ٢٥١)

١) وهذا عنوان الديوان المطبوع حديثاً :

The Poems of 'Amr Son of Qami'ah edited and translated by Sir Charles Lyall, D. Litt., Fellow of the British Academy. *Cambridge. At the University Press*, 1919, pp. 76.

٢) ورد في الشرح الوجيز لديوان ابن قميئة شرحٌ لابي عمرو الشيباني يفسّر بعض عبارات المتن في القصيدتين ١٢ و١٣ ولعلّ هذا دليلٌ على ان ابا عمرو كان شرح هذا الديوان

ويُعنى أيضاً السر ليال منذ بضع سنوات بنشر «فضليات الانباري» وهي قصائد ممتازة أُنشدت في الجاهلية وفي اوائل الاسلام اختارها المفضَّل الضَّبي ونشرها ابو القاسم الانباري. يُطبع هذا الكتاب النفيس في مطبعتنا الكاثوليكيَّة وقد نجز منه ٧٩٢ صفحة بقطع كبير. والامل وطيد ان يتمّ طبعهُ عن قريب فيبلغ نحو ٩٠٠ صفحة. وبما ان الحرب العمومية سبَّبت فترة في طبع الكتاب فلئلَّا يفقد السر ليال ذرَّة من الوقت الثمين اتمَّ مدَّة الحرب بنقل الفضَّليات الى اللغة الانكليزية وطبع هذا الجزء في مطبعة اكسفرد الشهيرة مصدّرًا اياه بمقدّمة انكليزية ضافية الذيول ضمَّنها ملاحظات جزيلة الفائدة. علمنا ذلك ممَّا اشار اليه في حواشي ديوان عمرو بن قميئة

نشر السر ليال هذا الديوان في السنة المنصرمة ونقلهُ الى اللغة الانكليزية وعلَّق عليهِ الحواشي المحتوية على مختلف الروايات والتصحيحات وايضاح المعاني الى غير ذلك من الملاحظات والفوائد. وألحقهُ بعدَّة فهارس منها فهرس اوَّل لاسامي اعلام الناس والقبائل. وفهرس ثانٍ لاعلام الاماكن. وفهرس ثالث للمفردات الواردة في شعر ابن قميئة. هذا فضلًا عن فهرس يتضمَّن اسامي المؤلفات التي استعان بها او اشار اليها في حواشي الديوان. وقد صدَّر الكتاب بتوطئةٍ باللغة الانكليزيَّة بحث فيها عن امور شتى تتعلَّق بصاحب الديوان منها مُلخَّص حياة هذا الشاعر (راجع الاغاني ١٦: ١٦٣ — ١٦٦)

هو فيما ذكر ابو عمرو الشيباني عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل ويقال انَّهُ أوَّل من قال الشعر من نزار. وكان سعد بن مالك وقيس قومهِ قيس بن ثعلبة في حرب البسوس التي دارت رحاها بين بكر وتغلب مدَّة اربعين سنة. ولا يبعد ان يكون عمرو بن قميئة لسبب طول عمرهِ شاهد آخر وقائعها. ولعلَّهُ يشير اليها في قصيدته الثانية دون ان يصرّح باسم التغلبيين اعداء البكريين. وستورد بعض ابيات من هذه القصيدة. وكثيرًا ما يذكر ابن قميئة في شعره قومه بني سعد كما سترى. وكان ابن قميئة شاعرًا متقدّماً وقد نظمه الاصمعي في كتابه «فحولة الشعراء» في عداد فحول الشعراء. والاصمعي اعلم الناس بالشعر والشعراء. وقال صاحب الاغاني: ان ابن قميئة

« كان شاعرًا فحلًا ». وكان شابًا جميلًا حسن الوجه مديد القامة حسن الشعرة. ومات ابوه وخالُه صغيرًا فكفله عمّه مرثد بن سعد. وكانت سبّابتا قدميه ملتصقتين ووُسطياهما ملتصقتين. وكان حيًّا محبًّا له معجباً به رقيقًا عليه. وكانت عند عمّه مرثد امرأة ذات جمال فهويت عمرًا وشُغفت به ولم تُظهر له ذلك. فغاب مرثد لبعض امره وقيل. مضى يضرب بالقداح فبعثت امرأته الى عمرو تدعوه على لسان عمه. فلمّا اتاها انكر شأنها فوقف ساعةً. ثم راودتهُ عن نفسه فقال: لقد جئتِ بأمر عظيم وما كان مثلي يُدعى لمثل هذا. والله لو لم امتنع من ذلك وفاء لعمّي لامتنعتُ منه خوفَ الدناءة والذكر القبيح الشائع عني في العرب. قالت: والله لتفعلنَّ او لأسوأنّك. قال: أالى المساءة تدعينني. ثم قام فخرج من عندها. وخافت ان يُخبر عمّه بما جرى فأمرت بجفنة فكُفئت على اثر عمرو. فلمّا رجع عمّه وجدها متغضبةً فقال لها: ما لكِ. قالت: ان رجلًا من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي منذ خرجتَ. قال: من هو. قالت: امّا انا فلا أُسمّيه ولكن قم فاتقفد أثره تحت الجفنة. فلمّا رأى الأثر عرفه. فاخذ سيفه ذا الفقار وأتى ليضربهُ به فهرب فأتى الحيرة فكان عند اللخميّين. ولم يكن يقوَ على بني مرثد لكثرتهم. وهمّ بهجاء مرثد ثم اعرض عن ذلك لشهامة نفسه وكرمه ودماثة أخلاقه ومدح عمّه واعتذر اليه. فكان هذا سبب رضى عمّه عنه وعودته الى قومه. تُذكّرنا هذه القصة بقصة يوسف بن يعقوب مع امرأة مولاه فوطيفار المصري التي ورد حديثها في الفصل التاسع والثلاثين من سفر التكوين. وتُبيّن لنا كيد النساء الخبيثات وكيف ينتقلن من حبّ شرّير الى بغض شرّ منه

- ومِمّا قالهُ عمرو بن قيئة يذكر براءتهُ ويمدح عمّهُ ويثبت صحة الخبر الذي اوردناه قولهُ (القصيدة ٢: ٤ — ١١):

لَعمرُك ما نفسٌ بِجدِّ رَشيدةٍ تؤامرني سِرًّا لأصرمَ مرثدا
وإن ظهرتْ منهُ قَوارصُ جمّةٌ وأفرغَ في لوحي مِرارًا وأصعَدا
على غير ذنبٍ أن أكونَ جنيتهُ سِوى قول باغٍ كادني فتجهّدا
لَعمري لنعمَ المرءُ تدمو بحبلهِ اذا ما المُنادي في المقامة نَدَّدا
عظيمُ رمادِ القِدرِ لا متيبّسٌ ولا مُؤيسٌ منها اذا هو أوقدا

وان صرّحت كحلٌ وهبّت عريّةٌ (١ من الريح لم تترك لذى المالِ مرقدا
صبرت على وَطء الموالي وحَطْمِهم إذا ضنَّ ذو القُربى عليهم وأخمدا
ولم يَحمِ فرجَ الحيِّ الا محافظٌ كريمُ المُحيّا ماجدٌ غيرُ أحردا

ويشكو ابن قميئة مِرارًا من معاداة قومِهِ له و إساءتهم اليه . والجرح اذا سببتهُ سهامُ ذوي القُربى كان امضَّ . قال (٧ : ٩—١١) :

أُولئك قومي آل سعد بن مالكٍ فالوا على ضِغنٍ عليَّ وإلنافِ (٢
اكتُبوا خُطوبًا قد بدت صفحاتها وأفندهُ ليست عليَّ بآرافِ
وكلُّ أُناسٍ أقربُ اليومَ منهمُ اليَّ وان كانوا عُمانَ أولي النافِ (٣

وقال ايضاً (٨ : ٤) :

على أنَّ قومي أسلموني وغُرّتي وقومُ الفتى اغفارهُ وذعافُهُ

وشكا مما اصابهُ من نكبات الدهر وصروف الايام فقال (٦ : ٧—١٣) :

يابنةَ الخيرِ انّما نحنُ رمنٌ لِصروفِ الايّامِ بدَّ الليالي
جلَّحَ الدهرُ وانتحى لي وقِدماً كان يُنحي القُوى على أمثالي
أفصدتني سهامُهُ اذ رمتني وتولّت عنهُ سُلَيمى بنبالي
لا عجيبٌ فيما رأيتِ ولكن عجبٌ من تغرُّط الآجالِ
تدرك السَّمْحَ المولَّعَ في اللُّجَّ م والمُصمَ في رؤوسِ الجبالِ
وتَصدّى لِتَصرعَ البطل الأروعَ م بين اللهاة والبِربالِ (٤

على انَّهُ مع ما لاقاه عمرو بن قميئة من عمهِ وقومه من الاجحاف بحقوقه والمعاداة له كان يودّهم ويفتخر بهم مُعدِّدًا فخرهم فخرًا له وعزّهم عزّهُ . وهذا كان دأب شاعر كل قبيلة فلا ينفكّ عن مديحها والاطناب بها بالبسالة والسطوة والكرم . لان الشاعر عند العرب هو المحامي عن القبيلة والمناضل عنها بشعره اكثر من الفرسان بسيوفهم وحرابهم وسهامهم كما قال الاخطل :

حتى استكانوا وهم منّي على مضضٍ والقولُ ينفُذ ما لا تنفُذ الإبَرُ

١) كحل هي السنة الشديدة الجدبة . والعريّة الباردة ويقال ريح عريّة اذا كانت السماء نقية من السحاب وهو اشدّ ما يكون من البرد (حاشية الديوان)
٢) ألنف عليه اذا اكثر عليه من الكلام القبيح (شرح الديوان)
٣) خاف عُمان موضع « الخاف ينبوت عظام كالشجر يكون بعُمان الواحدة خافة وهو اسم موضع بعمان سمّي به لكثرته » (ياقوت ٣ : ٧٦٨) ٤) طَمان لموضعين

فالقصيدة هي سيف الشاعر ورمحه يفري ويطعن بهما عن كثب وعن بعد. قال عمرو (٢ : ١٦ : ٢٥):

وملمومة لا يَخرِق الطَّرفُ مَرْضَها لها كوكبٌ فخمٌ شديدٌ وُضوحُها
تَسيرُ وتُرجي السمَّ تحتَ غُورِها كريهٌ الى من فاجأتْهُ صَبوحُها
على مُنذحِرَاتٍ وهنَّ عوابسٌ ضَبائرُ موتٍ لا يُراحُ مُريحُها
نَبذْنا إليهم دعوةً يالَ مالكٍ لها إربَةٌ إن لم تجدْ من يُريحُها
فسُرْنا عليهم سَورةً ثمَّ ثَوبةً وأسيافُنا يجري عليهم نُضُوحُها
وأرماحُنا يَنهَزْنَهُم خزَّ جُمَّةٍ (١ يَعود عليهم وِردُنا فنَسيحُها
فدارتْ رَحانا ساعةً ورَحاهمُ ودَرَّت طِباقًا بعد بَكءٍ لَقُوحُها
فما أتلفت ايديهمُ من نُفوسنا وإن كرُمت فانَّنا لا نَنُوحُها
نقُلنا هي النُّهبى وحَلَّ حَراسُها وكانت حِمىً ما قبلَنا فنُبيحُها
فأبْنا وآبُوا كلُّنا بغَضيضةٍ مُهَشَّلةٍ أجراحُنا وجُروحُها

قال ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٢٢٢) في وصفه هذه القصيدة انها «من جيّد شعره» وانّ ابن قميئة «ممّن انصف في شعره وصدق»

ومدح أيضاً قومه وافتخر بهم بأبيات عامرة في القصيدة الخامسة من ديوانه. وله ايضاً في المديح والافتخار (١١ : ٢٠—٢٦):

فتًى يَبتغي المجدَ مثلُ الحُسا م أخلصَهُ النَّيْرُ يوماً صِقالا
يَقودُ الكُماةَ ليَلقَى الكماةَ يُنازِلهم إنْ ارادوا النزالا
تُشَبِّهُ فُرسانَهم في اللقاء اذا ما رَحا الموتِ دارت رِحالا
ويَمشي رِجالاً الى الدارعين كأمثالِ خُورٍ تُرجّي فَصالا
وتكسُو القَواطِعَ هامَ الرجالِ وتَحمي الفوارسُ منّا الرِّجالا
ويأبى لِيَ الضيمَ ما قد مضى وعِندَ الخِصامِ فنَطْوُ جِدالا
بقولٍ يَذِلُّ لهُ الراضِعونَ وتَفضُلُهم إن ارادوا فِضالا

ولهُ ابيات حسنة يصف بها الصائد في يديه قوسُهُ وهو مستتر في فُترته يترصّد ورود حُمر الوحش المياه ليرميها. الّا انه يخطئها فيعضّ على انامله أسفاً

(١ خز جُمّة اي انتزاع ما فيها. يقول كلّما وردناها عُدنا اليها (شرح الديوان)

(١٣ : ٢٣ — ٣٢) . وهذه الابيات تذكرنا بابيات يصف بها الاخطل صيد حمار الوحش (ديوان الاخطل ١٥) . وما احسن وصف ابن قميئة للسحاب المطر تلعب به ريح الجنوب (١٠ : ٩—١١) :

فسقى محاسنها وحلّتها قَرِدُ الرِّباب لصوته زَجَلُ
أبدى محاسنَهُ لناظره ذات المشاه مُهذَّبٌ خضلُ (١
مُتحلّبٌ تَهوي الجَنُوبُ به فتكادُ تعدِلُهُ ويَنْحَفِرُ

ووصف امرة القيس بن عمرة البطل فاجاد (١٠ : ١٤ ، ١٥) :

كم طعنةٍ لك غير طائشةٍ ما إن يكونُ لجُرحها خَلَلُ
فعلمتَها وضربتَ ثانيةً أُخرى وتَعْرِفُ إن هُمُ نزلوا

وما اجمل كلامه في الزهد في الصفحة ٦٣ والبيتان وردا ايضاً في حماسة البحتري :

وما عَيْشُ الفتى في الناس الّا كما اشتعلتَ في رِيحٍ شِهابا
فيَسطع تارةً حَسَنًا سَناهُ ذَكيَّ اللَّونِ ثم يصير هابا

ويُقال ان امرة القيس التي عمر بن قميئة في آخر عمره فأخرجهُ معه الى قيصر لمّا توجّه اليه فمات معهُ في طريقه وسمّتهُ العرب عمرًا الضائع لموته في غُربة وفي غير أرب ولا مطلب . قال صاحب الاغاني « نزل امرؤ القيس بن حُجر ببكر بن وائل وضرب قبّتهُ وجلس اليه وجوه بكر بن وائل فقال لهم : هل فيكم أحد يقول الشعر ؟ فقالوا : ما فينا شاعر الّا شيخ قد خلا من عمره وكبر . قال : فأتوني به فأتوه بعمرو بن قميئة وهو شيخ فانشدهُ فأعجب به فخرج به معهُ الى قيصر . ويروى في ديوانه « فانطلق معه فهلك ولهذا سُمّي عمرًا الضائع » (راجع الاغاني ١٦ : ١٦٥ ، ١٦٦ وابن قتيبة الشعر والشعراء ٢٢٢) وقد بيّن عمرو كبر سنّه بقوله :

كبرتُ وفارقني الاقربونَ وأيفنتِ النفسُ ألّا خُلودا

ويظهر من شعر ابن قميئة انّهُ عمّر تسعين سنةً فقال لمّا بلغها (٣ : ٩ ، ١٤ ، ١٥) :

كأنّي وقد جاوزتُ تسعين حِجّةً خلعتُ بها يومًا عِذارَ لِجامي
وأفنى وما أفني من الدهر ليلةً وما يُفني ما أفنيتُ سبكُ نِظامِ

١) مهذّب كأنّ لهُ هُلبًا من هدبيه والهدب الذي يتدلّى ويدفو مثل هُدب القطيفة (شرح الديوان)

وأعطكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ وتأميلُ عامٍ بعدَ ذاكَ وعامِ

وقال ايضاً في هذا المعنى (٩ : ٤):

جَزَعًا منكَ يا بنَ سعدٍ وقد أخلقَ م منك المشيبُ ثوبَ الشَّبابِ

اقول انهُ يصعب القبول بانَّ شيخاً بلغ التسعين من عمرهِ يقدُم على السفر برًّا من بلاد العرب الى القسطنطينية في غير أدب ولا مطلب ولا معرفة سابقة بامرئ القيس مع ما كان يعترضهُ في طريقهِ من الصعوبات والمخاطر في اجتياز الدرب درب قيليقية . ولهذا نرى ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء يذكر انه خدم اولًا حُجرًا ابا امرئ القيس ثم رافق ابنهُ في سفرهِ . ويقول انَّ اياه عنى امرؤ القيس بقوله:

بكى صاحبي لمَّا رأى الدربَ دونهُ وأيقنَ أنَّا لاحقان بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينك انما نحاول ملكًا او نموت فنعذرا

الَّا ان وجوده عند حُجر ليس يثبت عند «السر ليال» . على انهُ اذا قبلنا بسفر ابن قيئة مع امرئ القيس يلزم القول بانهُ لم يكن بلغ من العمر ما ادَّعاهُ او ما ذُكر عنه . لانه من المقرَّر ان العرب قديماً وحديثاً كانوا لا يعلمون اعمارهم بالتدقيق . فاذا حلَّ بهم الشيب وإن غير طاعنين بالسنّ تسعهم ينسبون لذواتهم ولمن شاب منهم عمرًا فوق ما هو بالحقيقة

وقد بيَّن العلامة ليال في مقدمتهِ ان الشاعر المشهور مرقش الاكبر كان عمّه او أحد اجدادهِ وان مرقش الاصغر وطَرَفة بن عبدَة وشبر بن عمرو بن مرثد كانوا من ذوي قرابتهِ وميمون الاعشى ايضاً . ولذا ترى في اشعارهم بعض التشابه واستعمال بعض العبارات وطُرق التعبير . وهذا يتضح من المقابلة . قال ابن قيئة (١ : ١ ، ٢) :

خليليَّ لا تستعجلا ان تَروَّدا وان تجمعا شملي وتنتظرا غدا
فما لبثُ يومًا سابقِ متنمٍ ولا سُرعتي يومًا بسابقةِ الرَّدا

وكان قال مرقش الاكبر (المفضليات ٤٥٨) بالمعنى ذاته :

يا صاحبيَّ تلوَّما لا تعجلا إنَّ الرحيلَ رَهينُ أن لا تَعذُلا
فلعلَّ بطأكما يُفرِّط سيئًا أو يَسبقُ الاسراع سَيبًا مُقبلا

فترى ان المعنى هو ذاتهُ وان اختلف اللفظ . وقال ابن قيئة (٢ : ١١) : « بودِّك

ما قومي على ان تركتهم » وهذا اخذه من قول مرقش (المفضليات ٤٧٦) : بودك ما قومي على ان هجرتهم (١ وقال ابن قميئة (٤ : ٤):

لا تغبطِ المرءَ ان يُقال لهُ أسى فلانٌ لعمرو حَكَما

اخذه من قول مرقش المفضليات ٩٣ : ٤):

يأتي الشبابُ الاقورَ من ولا تغبط اخاك ان يُقال حَكَمْ

قال ابن قميئة (٦ : ٢):

هل ترى عيرها تجيز سراعاً كالعَدَوْلِيِّ راغباً من أوالِ

اخذه طرفة فقال في البيت الرابع من معلقته :

عَدَوْلِيَّةٍ او من سَفِينِ ابنِ يامنٍ يجورُ بها المَلّاحُ طَوْرًا ويهتدي

الى غير ذلك من التشابه والتقارب في المعنى وفي الالفاظ

وفي رأيي أنه ولو لم تكن قرابة بين ابن قميئة ومَن ذكرنا من ذوي قرباه لما امتنع الخلف منهم ان ينتحل ايضاً بعض ابيات او عبارات من شعر السلف . لان هذه كانت العادة عند جميع شعراء العرب في الجاهلية والاسلام . وقد بيّن الآمدي في كتاب الموازنة سرقات ابي تمام والبحتري . ان آداب العرب كانت تنحصر في انشاد القصائد فكان القوم يحفظونها غيباً كثيرًا او قليلًا . ومن ثم كان لا بدّ عند انشادهم ابيات احد الشعراء ان تخطر على ذاكرتهم ابيات لشاعر آخر راقت في عيونهم . فيمزجونها باللفظ والمعنى او بالمعنى فقط في القصيدة التي ينشدونها . خاصةً اذا وُجد اتفاق بين القصيدتين في البحر والقافية . هذا فضلًا عن ان الرواة وحافظي الاشعار كانوا على ممرّ الزمان يتصرّفون بالقصائد كيف شاؤوا واستحسنوا لانهم كانوا يعتبرون القصيدة كملكٍ للقبيلة او لقبائل العرب . وهذا هو احد اسباب اختلاف الروايات الشائع في الشعر العربي

ثم ان الشاعر كان كالمعلم في قومه والمربّي لهم والفاضل عنهم والخطيب المسموع

١) جاء في شرح المفضليات للانباري في تفسير اللفظة « بودك » في بيت مرقش « قال بودّكِ اي بشهوتك . . . قال وبودّكِ يحلفها بإلاهها الذي يحلفون به » فاختار العلّامة ليال هذا المعنى الاخير ونقلهُ الى الانكليزية فقال By thy God Wudd . وعندنا ان الاصحّ تفسير اللفظة « بودّكِ » اي اقسم بمحبتك كما نقول بحقك وبحياتك ولعمرك

الكلمة يمدح القوة والبسالة في ايام العرب المشهورة فيستفزّ الهمم ويشدّد العزائم . ويثني على الكرم في الشتاء والسنة المجدبة فيرفع شأن الضيافة ويحبّبها . ويحرّض على الاباء وأخذ الثار ورفض الدية في الترات فيُطاع . فيتغزل اشعاره الغادي والرائح والمالك والسوقة والشريف والحقير والكبير والصغير ويترنمون بها في الحضر والسفر فلا عجب اذا كانوا يزيدون فيها ويبدّلون في الالفاظ وترتيب الابيات . وهذا هو السبب او احد الاسباب لعدم ارتباط المعنى غالبا بين الابيات في القصيدة ذاتها

ولنا دليل في التقائض على الزيادات في القصائد . فاذا طالعت قصيدتين من التقائض لجرير والاخطل مثلاً ولا يخفى انهما من قبيلتين متعاديتين فلا يمكنك ان تعرف ايّ النقيضتين أنشدت اولاً أنقيضة جرير ام نقيضة الاخطل لِما تجد في كلّ واحدة منهما من التلميح الى الاخرى . وهذا يؤيد قولنا ان شعراء العرب انتحلوا اشعار بعضهم وانهُ طرأ على القصائد تبديل وزيادات ادخلها الرواة وحافظو الاشعار ومُنشدوها . وقد يكون الشاعر ذاته صنع ذلك بعد سماعه قصيدة خصمه او شاعر آخر استحسن شعره . مثال ذلك : قال جرير في نقيضته يهجو الاخطل وبني تغلب :

والطاعنون على العياء ان ظعنوا والسائلون بظهر الغيب ما الخبرُ
والآكلون خبيثَ الزادِ وحدَهمُ والنازلونَ اذا وارامهمُ الحَسَرُ

قال ابو تمام شارح نقائض جرير والاخطل « المصراع الاول للاخطل » قلتُ بل اخذ جرير بيتاً كاملاً للاخطل وضمّنهُ بيتين من نقيضته . وبيت الاخطل الذي يهجو بهِ جريرًا وبني كُليب هو :

الآكلون خبيثَ الزادِ وحدهمُ والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

ويمكننا ان نأتي بامثلة كثيرة تأييدًا لقولنا . فنكتفي بدليل ورد في شعر ابن قميئة . فمن المقابلة بين قصيدته الاولى وقد سبق لنا ذكرُ مطلعها « خليليَّ لا تستعجلا » والقصيدة التي نسبها الى الحُصين بن الحُمام او عُبيدة عن ابي عمرو الشيباني (الاغاني ١٢ : ١٢٦) ومطلعها هو ذاته ومن وجود ابيات فيهما لا تختلف البتة او لا تختلف الّا اختلافاً طفيفاً استنتج السرّ ليسال ان الحصين بن الحمام (وهو احدث عهدًا من عمرو بن قميئة بنحو مائة سنة) انتحل ابيات ابن قميئة . هذا ان صحّ انّ القصيدة المنسوبة الى الحصين هي حقيقةً لهُ

وقد ذكر العلّامة ليال في مقدّمته ان النسخة التي اخذ عنها ديوان بن قميئة هي نسخة خطّيّة مصونة في مكتبة جامع السلطان الفاتح في الاستانة ومرسومة بالعدد ٥٣٠٣ وهذه النسخة تحتوي عدّة آثار مسطّرة بخطّ جليّ واضح صحيح العبارة والشكل . فالاثر الاوّل من هذه المجموعة هو كتاب التنبيه والتعريف في صفة الخريف . كُتب في مدينة حلب الشهباء في شهر رجب من السنة ٦٠٣ الموافقة للسنة المسيحية ١٢٠٧ . والاثر الثاني هو ديوان عمرو بن قميئة في ٢٣ صفحة . ولا يبعد ان كتابة سائر آثار هذه المجموعة كانت في وقتٍ واحد

وقد ذكر السرّ ليال ان بعض قصائد عمرو وبعض قطع من شعره تُروى ايضاً لهُ في مؤلفات اخرى مثل نسخة المفضليات المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني ونسخة كتاب الاختيارين الموجودة في خزانة كتب إنديا اوفيس بلندن . وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وكتاب الحماسة للتبريزي . اما القصائد الخامسة والسابعة والثامنة فلا يظهر انها رُويت في غير الديوان . وقد اثبت السرّ ليال في الملحق بعض قطع شعر نُسبت لابن قميئة اقتطفها خاصّة من حماسة البحتري وكتاب الحيوان للجاحظ يبلغ مجموع عددها ١٩ بيتاً

كانت وفاة عمرو بن قميئة بين السنة ٥٣٠ والسنة ٥٤٠ بعد المسيح على تقدير ان ابن قميئة رافق امرأ القيس في سفره وان سفره كان بين هاتين السنتين حسبما ارتأى العلّامة نولدكه

واذا حكمنا بما وصل الينا من شعر ابن قميئة قُلنا انهُ من الشعراء المُقلّين . اما اذا نظرنا الى ما قالهُ عنهُ الاصمعي انهُ شاعر فحل والشاعر الفحل عنده من نظم كثيراً من القصائد الحسان قلنا انهُ من المكثرين . وهو من ذوي الذوق السليم . فترى شعره خالياً من الحشو والتكلّف وفي عفافٍ من الفحش ليس بالموجز المخلّ ولا الطويل المملّ . ومما يحسن الاشارة اليه انهُ قلّما يرد في كلامه من الالفاظ الغريبة الوحشية وهي متوفّرة في قصائد غيره من شعراء الجاهلية . قال صاحب الاغاني (١٠ : ١٥٦) : «قال رؤبة كان الطرمّاح والكُميت يصيران اليّ فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به فأراهُ بعدُ في اشعارهما»

فنمحض خالص شكرنا العلّامة السرّ ليال الذي لا يزال ينتقي درر الاشعار

المكونة في اصدافها يتحف بها فريق العلماء. ويستخرج عقود القصائد من خزائنها يقلّد بها اعناق الادباء. جازاه الله عن اتعابه ونفع به المعارف والعلوم الشرقية

كتاب الكتّاب لدوبه درسنويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الاوّل

هذا باب الهمز وفصوله

١ شروط الهمزة ومعرفة لفظها

اعلم انّ الهمزة حرفٌ لا صورةَ لهُ في الخطّ وانّما يُكتب على صورة حروف (6ᵃ) اللين لأنّ في النُطق بالهمزة مشقّة فهي تُلين في اللّفظ فيُنحى بها نحوُ حروف اللين وتُبدَل وتُحذف كما يُفعَل بحروف اللين فصارت كأنّها منها وكُتبت بصورها اذ لم تكن لها صورة. وهذا الباب شبيه بباب البدَل غير انّ الهمزة جنس على حياله مطّردٌ على قياسه فافردنا لهُ باباً لذلك

والهمزة تكون في اوّل الكلمة وفي وسَطها وفي آخرها ولكلّ من ذلك حالٌ سيوقَف عليها ان شاء الله. وقياس الهمزة ان يكون كتابُها على قياس تخفيفها في اللفظ الّا ان يَعرض لها مانعٌ من ذلك او يكون تخفيفها في اللفظ عارضاً فيها غير لازم لها وسترى في اللفظ ذلك ان شاء الله

٢ الهمزة المبتدأة الواقعة أوّلًا

والهمزة الواقعة اوّلًا لا تكون الّا متحرّكة مخفّفة(١ لا يلحقها في اللفظ حَذف ولا

١) في الاصل محفّقة وظنّه تصحيفاً